



ضحت المعارضة السورية طويلاً بالثورة، وعملت منها لعبةً بيد الدول الإقليمية والدولية. كان مؤتمر "الرياض 2" أحدث الفصول، حيث قبل بجهاتٍ تدعي أنها معارضة في إطار هيئة التفاوض ووفد التفاوض. وأدى إفشال جنيف الثامن من النظام إلى طرح مؤتمر سوتشي الروسي بديلاً عنه، وقد ناولت أطرافٍ في المعارضة لتسويقه (يعني العريضي وأحمد طعمة وبيان أستانة أخيراً، أمثلة)، أي للمشاركة فيه وإن بشروط؛ ولكن حدة الرد الشعبي، ولاحقاً رفض كتل واسعة في المعارضة والمثقفين، أدى بأبرز القوى السياسية والعسكرية إلى حسم موقفها منه، وإصدار بياناتٍ رافضة للمشاركة فيه. وهنا على المعارضة، بكل أطراها، إصدار بيان حاسم، وإرساله إلى الجهات الدولية والإقليمية، ويفيد برفض "سوتشي" والتهديد بالانسحاب من مسارى أستانة وجنيف، ما لم تعد المفاوضات وفقاً لبيان جنيف1 وقرارات مجلس الأمن التي تفيد بتشكيل مجلس انتقالي كامل الصالحيات .

سارع الروس إلى تجنب فشل "سوتشي" بالإعلان أنه سيتم تحت مظلة الأمم المتحدة، أي لم يعد مؤتمراً روسيّاً. وهذا إقرارٌ روسيٌّ بأن مؤتمرهم فشل، وأن المعارضة يمكنها أن تغيير من المعادلات، وأن الدول الإقليمية والدولية يمكنها شطب كل الحل الروسي إن رغبت. على المعارضة التخلص من انتهازيتها، والمسارعة إلى رفض كل ميرراتٍ جديدةٍ لمؤتمر سوتشي والتمسك بجنيف، وأن الأخير سيتم في إطار شروط مسبقة ومحددة، وتفيid بإلزام النظام التفاوض وفق "جنيف1" ورفض المشاركة في أية مفاوضات أخرى. مانا ستخسر المعارضة مجدداً، إن كانت موافقتها على مؤتمرات جنيف المتكررة تتم لإيقاف الحرب والدخول بالحل السياسي، وهو ما لم يتحقق في كل المؤتمرات التي عقدت من أجله .

تلمسـتـ المـعـارـضـةـ رـفـضاـ إـقـلـيمـياـ وـدـولـياـ رـافـضاـ مـؤـتـمـرـ سـوـتـشـيـ،ـ وـالـتـقـطـتـ الـلـحـظـةـ،ـ وـهـذـاـ يـعـنـيـ أـنـ دـورـهـاـ لـيـسـ هـامـشـيـاـًـ.ـ وـبـالـتـالـيـ عـلـيـهـاـ عـدـمـ الـاـكـتـفـاءـ بـمـراـقـبـةـ التـغـيـرـاتـ الدـوـلـيـةـ،ـ بـلـ يـفـتـرـضـ أـنـ تـنـشـفـ بـقـصـاـيـاـ الدـاخـلـ،ـ فـهـوـ الـوحـيدـ القـادـرـ عـلـىـ تـأـمـيـنـ دـعـمـ حـقـيقـيـ لـهـاـ،ـ وـيـسـمـحـ لـهـاـ بـالـمـناـوـرـةـ فـيـ إـطـارـ الصـرـاعـ إـقـلـيمـيـ وـالـدـولـيـ المـحـتـدـمـ عـلـىـ مـسـتـقـبـلـ سـوـرـيـةـ .ـ

روـسـياـ الـمـكـبـلـةـ أـوـلـاـ بـتـجـاهـلـ أـمـيرـكـيـ كـلـ مـسـتـجـدـاتـ تـوـرـطـهاـ فـيـ سـوـرـيـةـ.ـ وـثـانـيـاـ بـتـحـالـفـهاـ معـ إـيـرـانـ،ـ وـبـدـلاـ مـنـ السـعـيـ نـحـوـ سـوـسـوـيـةـ سـيـاسـيـةـ،ـ تـنـصـفـ الـمـعـارـضـةـ وـلـاـ تـخـلـىـ عـنـ النـظـامـ.ـ تـُـعـنـ،ـ وـبـكـلـ عـنـجـهـيـةـ،ـ أـنـ مـنـ يـرـيدـ إـسـقـاطـ النـظـامـ لـنـ يـأـتـيـ إـلـىـ سـوـتـشـيـ.ـ طـبـعـاـ تـجـهـزـ روـسـياـ بـذـاكـ عـلـىـ مـؤـتـمـرـهـاـ بـنـفـسـهـاـ؛ـ فـأـغـلـيـةـ الـمـعـارـضـةـ سـتـقـاطـعـ مـؤـتـمـرـ،ـ كـمـ اـوـضـحـتـ.ـ وـبـالـتـالـيـ "ـسـيـخـجلـ"ـ كـثـيـرـوـنـ مـنـ الـمـشـارـكـةـ.ـ الـمـعـارـضـةـ الـآنـ فـيـ مـوـقـفـ قـوـيـ،ـ لـكـنـهـاـ بـلـاـ أـرـجـلـ حـقـيقـيـةـ،ـ فـهـيـ لـاـ تـمـثـلـ الـفـصـائـلـ "ـالـهـامـشـيـةـ".ـ وـأـغـلـيـةـ الـمـدنـ السـوـرـيـةـ مـدـمـرـةـ وـمـحـتـلـةـ مـنـ روـسـياـ وـأـمـيرـكـاـ وـإـيـرـانـ.ـ قـدـرـتـهـاـ عـلـىـ الـمـنـاـوـرـةـ تـوـسـعـ،ـ إـنـ تـمـكـنـتـ،ـ كـمـ ذـكـرـتـ،ـ بـرـفـضـ كـلـ مـفـاـوـضـاتـ جـدـيـدةـ إـلـاـ بـشـرـوـطـ مـسـبـقـةـ وـبـبـيـانـ جـنـيفـ.ـ وـيـتـأـتـيـ رـفـعـ السـقـفـ كـذـلـكـ مـنـ خـلـالـ الـتـعـارـضـ الـوـاسـعـ بـيـنـ الـرـوـسـ مـنـ نـاحـيـةـ وـالـأـمـيرـكـاـنـ وـالـأـوـرـوـبـيـيـنـ مـنـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ.ـ وـإـذـاـ كـانـ الـأـمـيرـكـاـنـ يـخـطـطـونـ لـتـحـجـيمـ إـيـرـانـ فـيـ سـوـرـيـةـ وـبـقـيـةـ الـبـلـادـ الـعـرـبـيـةـ،ـ فـإـنـ هـذـهـ النـقـطـةـ مـنـ الـمـسـائـلـ الـتـيـ يـمـكـنـ لـلـمـعـارـضـةـ الـاستـفـادـةـ مـنـهـاـ،ـ وـرـفـعـهـاـ شـرـطاـ مـسـبـقاـ فـيـ أـيـةـ مـفـاـوـضـاتـ مـسـتـقـبـلـةـ،ـ إـضـافـةـ إـلـىـ الـمـطـالـبـ بـتـطـيـقـ قـطـعـيـ لـوـقـفـ إـطـلاقـ النـارـ،ـ وـفـكـ الـحـصـارـ،ـ وـإـطـلاقـ أـعـدـادـ كـبـيرـةـ مـنـ الـمـعـتـقـلـينـ .ـ

ما يـوـسـعـ هـامـشـ الـمـنـاـوـرـةـ لـدـىـ الـمـعـارـضـةـ هـوـ الـمـسـارـعـةـ إـلـىـ عـقـدـ مـؤـتـمـرـ وـطـنـيـ لـهـاـ،ـ وـبـكـلـ أـطـيـافـهـاـ،ـ وـيـسـتـثـنيـ مـنـهـاـ بـالـتـأـكـيدـ مـنـ لـاـ يـنـطـلـقـ مـنـ بـيـانـ جـنـيفـ 1ـ بـشـكـلـ أـسـاسـيـ.ـ هـنـاكـ الـآنـ تـعـارـضـاتـ بـيـنـ إـيـرـانـ وـتـرـكـياـ وـرـوـسـياـ.ـ وـلـهـذاـ لـمـ تـطبـقـ مـقـرـراتـ مـنـطـقـةـ خـفـضـ الـتـوـرـ بـجـديـةـ فـيـ إـدـلـبـ أـوـ الغـوـطـةـ أـوـ حـتـىـ درـعاـ،ـ وـكـذـلـكـ لـمـ يـحدـدـ مـصـيـرـ عـفـرـينـ.ـ أـيـ أـنـ حـلـ روـسـياـ مـفـكـكـ،ـ وـيـمـكـنـ لـكـلـ طـرـفـ فـيـ هـذـاـ التـحـالـفـ أـنـ يـغـيـرـ مـنـ تـحـالـفـهـ باـسـتـمـارـ.ـ طـبـعـاـ التـحـالـفـ الـآخـرـ،ـ أـيـ الـأـمـيرـكـيـ الـأـوـرـوـبـيـ الـخـلـيـجيـ،ـ لـيـسـ فـيـ تـوـافـقـ حـقـيقـيـ إـزـاءـ سـوـرـيـةـ،ـ وـلـاـ سـيـماـ بـعـدـ تـصـاعـدـ الـأـزـمـةـ الـخـلـيـجيـةـ،ـ وـالـقـرـارـاتـ "ـالـمـجـنـونـةـ"ـ لـلـرـئـيـسـ الـأـمـيرـكـيـ،ـ وـلـيـسـ آخـرـهـاـ الـمـتـعـلـقـ بـالـقـدـسـ وـرـفـضـ الـأـوـرـوـبـيـيـنـ لـهـ .ـ

هـذـاـ الـاـخـتـلـافـ فـيـ موـازـيـنـ الـقـوـيـ،ـ وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ ضـعـفـ الـمـعـارـضـةـ وـالـثـورـةـ،ـ فـإـنـهـ يـعـطـيـهـاـ قـدرـةـ وـاسـعـةـ عـلـىـ الـمـنـاـوـرـةـ،ـ لـكـنـ ذـلـكـ لـنـ يـكـوـنـ مـجـديـاـ مـنـ دـوـنـ تـحـقـيقـ الـمـؤـتـمـرـ الـذـيـ نـقـرـحـهـ،ـ وـيـلـهـجـ بـهـ كـثـيـرـوـنـ فـيـ الـمـعـارـضـةـ السـوـرـيـةـ،ـ وـهـذـاـ يـعـنـيـ أـنـ هـنـاكـ شـعـورـاـ عـامـاـ بـوـصـولـ الـوـضـعـ السـوـرـيـ إـلـىـ حـالـةـ كـارـثـيـةـ.ـ النـظـامـ يـتـحـولـ إـلـىـ أـدـاءـ بـيـدـ الـرـوـسـ وـالـإـيـرـانـيـيـنـ،ـ وـالـمـعـارـضـةـ تـفـرـطـ تـبـاعـاـ بـأـهـدـافـ الـثـورـةـ وـبـالـمـقـرـراتـ الـدـوـلـيـةـ،ـ وـالـدـوـلـ الـخـارـجـيـةـ أـصـبـحـتـ مـتـحـكـمـةـ فـيـ الـوـضـعـ السـوـرـيـ،ـ وـإـنـ تـحـكـمـهـاـ هـذـاـ بـسـبـبـ غـيـابـ الـمـنـظـورـ الـوـطـنـيـ لـلـنـظـامـ أـوـلـاـ،ـ وـلـلـمـعـارـضـةـ ثـانـيـاـ،ـ عـنـ تـلـمـسـ كـيـفـيـةـ الـبـدـءـ بـحلـ سـيـاسـيـ،ـ وـإـنـهـاءـ مـأـسـاةـ بـلـادـهـمـ،ـ وـهـوـ مـاـ فـوـتـ كـلـ الـفـرـصـ لـلـحلـ وـمـنـذـ 2011ـ

ـ بالـتـحـدـيدـ أـكـثـرـ.ـ تـتـعـالـمـ روـسـياـ الـآنـ مـعـ سـوـرـيـةـ وـكـأنـهـاـ تـمـتـلـكـهـاـ.ـ وـقـدـ أـعـلـنـتـ،ـ أـخـيـرـاـ،ـ أـنـهـاـ سـتـبـدـأـ عـمـلـيـةـ تـجـهـيزـ قـاعـدـتـيـ حـمـيـمـيـمـ وـوـطـرـطـوـسـ لـتـكـوـنـ دـائـمـيـنـ.ـ وـلـكـنـ مـنـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ،ـ تـحـلـ أـمـيرـكـاـ أـكـثـرـ مـنـ ثـلـثـيـ سـوـرـيـةـ.ـ وـهـنـاكـ تـقـارـيرـ تـفـيـدـ بـأـنـ إـيـرـانـ تـقـاـمـرـ بـفـتـحـ الـطـرـيـقـ الـبـرـيـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ حـزـبـ اللـهـ،ـ عـبـرـ الـعـرـاقـ فـسـوـرـيـةـ فـلـبـنـانـ،ـ وـتـعـيـدـ تـأـهـيلـ مـعـبـرـ الـبـوـكـمـالـ لـهـذـاـ الغـرـضـ.ـ إـنـاـ مـنـ أـكـبـرـ الـأـوـهـامـ الـتـيـ تـقـعـ فـيـهـاـ روـسـياـ اـعـتـقادـهـاـ أـنـهـاـ تـمـتـلـكـ سـوـرـيـةـ،ـ وـتـجـاهـلـهـاـ أـنـ الـصـرـاعـ إـقـلـيمـيـ وـالـدـوـلـيـ عـلـيـهـاـ لـمـ يـنـتـهـ بـعـدـ.ـ يـضـافـ هـذـاـ أـنـ أـمـيرـكـاـ وـأـوـرـوـبـاـ مـاـ زـالـاـ تـتـعـالـمـانـ مـعـ روـسـياـ باـعـتـبارـهـاـ دـوـلـةـ إـقـلـيمـيـةـ كـبـيرـةـ،ـ وـتـزـيـدـانـ الـعـقـوبـاتـ عـلـيـهـاـ.ـ وـبـالـتـالـيـ هـذـاـ قـصـاـيـاـ كـثـيـرـةـ يـمـكـنـ لـلـمـعـارـضـةـ أـنـ تـتـحـرـكـ مـنـ خـلـالـهـاـ،ـ لـكـنـ ذـلـكـ يـفـرـضـ بـالـضـرـورةـ قـرـاءـةـ الـمـشـاهـدـ،ـ الـدـوـلـيـ وـإـقـلـيمـيـ

والمحلي؛ وهو ما فعلته بمقاطعتها "سوتشي" أخيرا، وربما للمرة الأولى في تاريخها .

بوضوح نقول إن المشاركة في جنيف وفقاً للجولة الثامنة أخيراً كان أمراً خطأً. وحسناً فعل النظام، ولأسبابه الخاصة، بإفشاله. والخطأ بسبب التخلّي عن بيانى الرياض 1 وجينيف 1 والقرارات الدولية، وتمييع فكرة الشروط المسبقة قبل الدخول بالتفاوض. مسار أستانة أيضاً، وبدلًا من تدارس الأوضاع بعد سقوط حلب، كان للتفریط بأية قوّة تحوزها الفصائل في بقية المدن السورية، فأستانة، وعبر مقرراته، بنى سجناً لتلك الفصائل، ولم يوقف الحرب ضدّها. والآن تحاول كل من إيران والنظام قضم مناطق واسعة في الغوطة وإدلب ودرعا.. "سوتشي"، كما ذكرت، يجب رفضه بالكامل، وتخوين أيّ أطراف تشارك فيه.

المصادر:

العربي الجديد